المحاضرة الرابعة: مستوى التحليل الصرفي (2)

دلالات الصيغ الصرفية

تمهيد:

إن الأصل أن أي تغيير في المبنى ينتج عنه تغيير في المعنى، يستثنى من ذلك ما كان لغرض لفظي كالإعلال والإبدال وغيرهما مما سبق ذكره، وما كان من باب اختلاف اللغات، وما كان ترادفا. وقد جمع علماء العربية الدلالات الصرفية للصيغ المختلفة؛ أفعالا كانت أم أسماء.

1ـ دلالات الصيغ الصرفية للأفعال: زيادة عن تغاير الدلالة بين صيغة الماضي والمضارع والأمر، تطرق علماء اللغة عموما والصرف خصوصا إلى دلالات الصيغ الصرفية للأفعال وفقا للتجرد والزيادة؛ نمثل بما ذكره الشيخ الحملاوي في" شذا العرف في فن الصرف" قائلا في (فصل في معاني صيغ الزوائد): أفعل تأتي لعدة معان:

الأول: التعدية؛ وهي تصيير الفاعل بالهمزة مفعولا؛ كأقمت زيدا وأقعدته وأقرأته. الأصل قام زيد وقعد وقرأ. فلما دخلت عليه الهمزة صار زيد مُقاما ومُقعدا ومُقرأ.

فإذا كان الفعل لازما صار بهذا متعديا لواحد، وإذا كان متعديا لواحد صار بهذا متعديا لاثنين، وإذا كان متعديا لاثنين صار بهذا متعديا لثلاثة...

الثاني: صيرورة شيء ذا شيء؛ كألبن الرجل وأتمر وأفلس؛ أي صار ذا لبن وتمر وفُلوس.

الثالث: الدخول في شيء، مكانا كان أو زمانا؛ كأشأم، وأعرق، وأصبح؛ أي دخل في الشام، والعراق، والصباح، والمساء.

الرابع: السلب والإزالة؛ كأقذيت عين فلان، وأعجمت الكتاب؛ أي أزلت القذى عن عينه، وأزلت عجمة الكتاب بنَقْطِه.

الخامس: مصادفة الشيء على صفة؛ كأحمدت زيدا، وأكرمته وأبخلته؛ أي صادفته محمودا، أو كريما، أو بخيلا.

السادس: الاستحقاق؛ كأحصد الزرع، وأزوجت هند؛ أي استحق الزرع الحصاد، واستحقت هند الزواج.

السابع: التعريض؛ كأرهنت المتاع، وأبعته؛ أي عرّضته للرهن والبيع.

الثامن: أن يكون بمعنى استفعل؛ كأعظمته؛ أي استعظمته.

التاسع: أن يكون مطاوعا ل(فعَّل) بالتشديد، نحو: فطَّرته فأفطر، وبشَّرته فأبشر.
العاشر: التمكين؛ كأحفرته النهر؛ أي مكَّنته من حفره."(شذا العرف للحملاوي)
مواصلا مع مزيد الثلاثي بحرف، لينتقل بعده إلى المزيد بحرفين منتهيا إلى المزيد بثلاثة أحرف.

2ــ دلالات الصيغ الصرفية للأسماء: عادة ما يبدأ علماء الصرف بصيغ الأفعال، ثم يردفونها صيغ الأسماء مركّزين على المشتقات؛ وأولها: اسم الفاعل وله صيغتان: فاعل من الفعل الثلاثي، وضم حرف المضارعة مع كسر ما قبل الآخر فيما زاد عن ثلاثة؛ وهو المشتق الدال على وصف من قام بالفعل (ينظر: التطبيق الصرفي لعبده الراجحي). أو ما دل على الحدث والحدوث وفاعله (ينظر: التصريح لابن مالك)
ثانيهما اسم المفعول، وثالثها الصفة المشبهة باسم الفاعل ثم صيغ المبالغة...إلى غير ذلك من المشتقات، مما يمكن العودة إليه في مضانه (التصريح لابن مالك، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السراج، والألفية لابن مالك، وشروحها المختلفة...)
أن الذي نؤكد عليه أن استعمال الصيغ الفعلية، والاسمية يجب أن تكون منتقاة بعناية في كلامنا، متسقة والسياق.
أثر التغيرات الصرفية في فهم الفروق الدلالية:
_ بين الاسم والفعل: معلوم أن الاسم دالّ على الثبوت – عموما – من غير تجدد خلافا للفعل. قال تعالى ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ لِّتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى للمؤمِنين﴾ (الأعراف/1) لقد عدل ــ الله تعالى ــ عن الفعل إلى الاسم؛ إذ يتوقع السامع بعد(تنذر) فعلا معطوفا عليه هو(تذكّر). إلا أن ذلك لم يحدث؛ لمعنى أراده عز وجل؛ ذلك أن إنذار الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبط بزمن هو الفترة الممتدة من بعثه نبيا إلى وفاته. في حين الكتاب ــ وهو القرآن ــ باق ثابت، وخالد. (ينظر: عناصر تحقيق الدلالة في العربية دراسة لسانية لصائل رشدي أصيل).
وهذا الجرجاني يؤكد على الفرق بين دلالة الفعل ودلالة الاسم بقوله: " لو استويا هذا الاستواء لم يكن أحدهما فعلا والآخر اسما بل كان ينبغي ان يكونا جميعا فعلين أو يكونا اسمين"(دلائل

الإعجاز للجرجاني) ممثلا بقوله تعالى ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ (الكهف/18). مضيفا أنه ــ تعالى ــ لو قال: يبسط لاختلف المعنى. والجملة تتأثر بدلالات الصيغ الصرفية لمكوناتها. على غرار الجرجاني ــ بل قبله ــ انتبه ابن جني إلى تغاير المعاني بتغاير الصيغ الصرفية؛ إذ قال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَها مَأ كسَبَتْ وعلَيْهَا مَا اكْتسَبتْ﴾ البقرة/286 "ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير مستصغر. وذلك لقوله عز اسمه ﴿من جاءَ بالحَسَنة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ومَن جَاءَ بِالسّيِّئَة فَلا يُجْزَى إلاّ مِثْلها﴾ (الأنعام/161).

أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى أجزائها، صغر الواحد إلى العشرة، ولمّا كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها لم تحتقر إلى الجزء عنها" (الخصائص لابن جني).

وآخر ما نختم به قوله تعالى ﴿حتّى إذَا جَاءُوها وفُتِّحَتْ أبْوابُهَا﴾ الزمر/70 من القراء العشرة من قرأ: فُتِحَتْ مخففة الحاء ومنهم من قرأها مشددة: فُتِّحتْ. وذهب بعض المفسرين وعلماء القراءات مثل الأزهري إلى أن التخفيف للدلالة على أن أبواب السماء فتِحت مرّة واحدة، وكأنها باب واحد، في حين قراءة التشديد للدلالة على انفتاح كل باب لوحده فتكرر الفعل مبالغة في المعنى. (ينظر: معاني القراءات للأزهري).